

## شهادة الدكتور الياس القطار في الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف سنو

جاء في سفر الأمثال: إذا دَخَلتِ الحكمةُ قلبَكَ ولذتْ نفسُك العلمَ، يُحَافِظُ عليكِ التدبيرُ وترعَاكُ الفطنةُ.

أيها السيدات والسادة، هذه صورة من صور عبد الرؤوف سنو، الأستاذ الجامعي العالم المميز الذي اتصف بالصدق في البحث كما في الحياة وبالفتنة وحسن التدبير في إنتاجه التاريخي، والمؤرخ العلامة الذي أحسن تقييش معلوماته وأخضعها للنقد وتحرى مدى عدالتها وضبطها واجتهد حيث تسكت الوثائق، وحرر معلوماته في أسلوب واضح مشبع بالمعاني دقيق المصطلحات منضبط المنهجية يؤدي المعنى بوضوح وسهولة ويحاكي في كتاباته المؤرخين العالميين الكبار.

كان يبحث في ملفاته عن سرّ التحولات التي قادت التاريخ وعصفت فيه، فلم يترك نقطة إلا وطرقها ومستوراً إلا وكشف نقابه.

منذ عرفت الدكتور سنو أحببت فيه تواضع العالم، وقدرت فيه عمق المتبحر في التاريخ الذي قدّم من خلاله أعمالاً أكاديمية راقية في:

- 1- الإسلام والمسيحية
- 2- لبنان الحديث والمعاصر
- 3- العرب وقضية فلسطين
- 4- الدولة العثمانية والعرب
- 5- ألمانيا وروسيا وبريطانيا والدولة العثمانية

إذا كان المعيار في تقييم جودة بحث مقدار ما يقدم من جديد على صعيد المضمون، فالواضح أنّ كتب سنو في الألمانية والعربية وحتى أبحاثه بالانكليزية قد حققت الغاية المرجوة. فهو يقدم قراءة جديدة للمواضيع التي دارت عليها أبحاثه على ضوء الوثائق الألمانية خاصة والأوربية والعربية عامة.

في كتابه عن حرب لبنان، خطا خطوات علمية منهجية موضوعية محايدة ناجحة نزيهة بعيدة عن التعصّب والانفعال والأحكام المسبقة، في دراسة أسبابها وظروفها وحيثياتها وتواترها ونتائجها. متوقفاً عند كلّ الفئات المشاركة في الحرب ومستنطقاً بأسبابها الداخلية، وتقصي الأسباب والدوافع المحلية والإقليمية، خاصة عبر العامل السوري المستفيد الأول من هذه الحرب، وطبعاً العامل الإسرائيلي المستفيد الأكبر، والأسباب العالمية عبر لعبة الأمم.

و لا بدّ من الإشارة إلى انتماء الدكتور سنو الواعي والعقلاني إلى وطن يريد له كلّ الخير. من دون حبّ قاتل، أو تنكّر له غير عاقل، قاد إلى ما قاد إليه من شلالات دم.

وبعقل منفتح، انتقد عدم استخدام المسلمين في التاريخ الوسيط وفي ظلّ الحكم العثماني سلطة العقل ومعايير علمية لنقد شرعهم وتجاربههم التاريخية وعلاقاتهم بالمسيحيين. كما حمل الأنظمة العربية المعاصرة مسؤولية ما آلت إليه أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، مطالباً بالحفاظ عليهم كمعطى وطني وحضاري واقتصادي، وأن ذلك لا يكون إلا بإقامة الدولة الديمقراطية المدنية.

هذا هو الصديق الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف سنّو كما عرفته وخيرته رائد في عقلانيته، مخلص بوعي في وطنيته، ناقد جريء لما لا يلامس قناعاته متجاوزا لتخلف بعض تراثه الديني. إنّه ظاهرة منيرة في شرق مصرّ على التلذذ بالروح القدرية وبقيود التراث الغيبي.